

الرَّسَالَةَ ١٤٣

أَمِلْ أذْنَكَ إِلَى أَقْوَالِي

(Arabic - Incline your ear unto my sayings.)

أحبائي.. حديثنا اليوم موضوعه: **أَمِلْ أذْنَكَ إِلَى أَقْوَالِي**

ومن سفر الأمثال الأصحاح الرابع نقرأ الأعداد من العدد العشرين إلى الثالث والعشرين:

"يا ابني. أصنع إلى كلامي. أمل أذنك إلى أقوالي. لا تبرح عن عينيّك احفظها في وسط قلبك لأنها هي حياة للذين يجدونها. ودواء لكل الجسد. فوق كل تحفظ احفظ قلبك. لأن منه مخرج الحياة".^١

أصوات عديدة متنوعة تصل إلى آذاننا على الدوام. منها ما نحب أن نسمع ومنها ما لا نحب. وتلك الأصوات يترجمها العقل بعد أن تستقبلها الأذن فنفهم معانيها. ومن ثم تتحرك مشاعرنا برد فعل معين. إما استحسانا لما نسمع أو استهجانا له. وهذا يتوقف على نوعية المملكة التي نتبع لها. فمن ينتسب إلى مملكة الظلمة يميل بأذنيه إلى ضجيج العالم الشرير. ومن ينتسب إلى مملكة النور فليديه حاسة التمييز الروحية ولا يميل بأذنيه إلا إلى صوت الراعي الصالح لأنه يعرفه. لقد قال الرب يسوع: "خرافي تسمع صوتي وأنا أعرفها فتتبعني. وأما الغريب فلا تتبعه بل تهرب منه لأنها لا تعرف صوت الغريب".^٢ ومما قرأنا بسفر الأمثال الأصحاح الرابع. نرى توجيهات حكيمة يُشير علينا بها كاتب السفر بالوحى الإلهي. ليتنا نحرص على سماعها وتميل بأذاننا إليها.

أولا: **حُسنُ الإصغاء إلى كلام الله..** كثيرا ما نسمع كلام الله. ولكننا مع الأسف أحيانا لا نصغي بكل جوارحنا إلى ما نسمع. لذا يقول الحكيم في أمثاله: "يا ابني. أصنع إلى كلامي". فالإصغاء يُعطينا استيعابا أكثر لما نسمعه. وقدرة على الإلمام بدقائق ما نسمع. فلا يفوتنا شيء منه. ومن يجيد فن الإصغاء تنطبع في ذهنه قيم ومعان يمكنه تذكرها بسهولة. وبالتالي تنطبع تلك القيم على حياته اليومية وتظهر في سلوكه. لقد سجل يعقوب في رسالته تلك النصيحة الغالية: "ولكن كونوا عاملين بالكلمة لا سامعين فقط خادعين نفوسكم".^٣ وقال أيضا في رسالته: "إذا يا إخوتي الأحباء. ليكن كل إنسان مسرعا في الاستماع. مُبطنًا في التكلم. مُبطنًا في الغضب".^٤

ثانيا: **الميل بالأذن للتركيز على أقوال الله..** فالميل بالأذن ابتغاء لسماع صوت الراعي الصالح ولا سواه وذلك يلزمنا لتجنب صوت الغريب. ولذا يقول الحكيم: "أمل أذنك إلى أقوالي". والمعتاد أن الميل بالأذن نحو المتحدث يجعلنا أكثر قربا منه. أفلا نجد بنا أن نحى رؤوسنا ونميل بأذاننا بقدر ما نستطيع لتناذد حديث المحبة الخالصة والحكمة النازلة من فوق من عند أبي الأنوار؟ ليسوع الذي شهد عنه الوحى بأنه "لم يكن في فيه عيش". حدث يوما أن أرسل رؤساء الكهنة والفريسيون خداما كي يلقوا الأيادي على الرب يسوع وليأتوا به إليهم. عاد خدامهم إليهم من غيره وحين سألوه لماذا لم تأتوا به أجابوا قائلين: "لم يتكلم قط إنسان هكذا مثل هذا الإنسان".^٥

حين أصغى خدام رؤساء الكهنة إلى كلام الرب يسوع وأمالوا آذانهم إلى أقواله. تغيرت قلوبهم وامتلات بحب عجيب لشخصه. لقد تغيرت مفاهيمهم فعرفوا الحق من الباطل. إن كل الذي نسمعه نحن البشر ينبع من مصدرين لا ثالث لهما. المصدر الأول هو صوت الله. أما المصدر الثاني فصوت الشيطان. وصوت الله يأتينا بإرشاد الروح القدس على لسان رجال الله العاكفين على تفصيل كلمة الحق بالاستقامة. وذلك يقودنا إلى الخضوع لجلاله وتمجيد اسمه. وبعظمة ما خلق وبديع ما صنع. "إن السموات تحدث بمجد الله. والفلك يُخبر بعمل يديه".

^١ سفر الأمثال ٤: ٢٠ - ٢٣ ، رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى كولوسي ١: ١٣ ، [استمع إلى الإنجيل](#)

^٢ إنجيل يوحنا ١٠: ٥

^٣ رسالة يعقوب ١: ١٩ & ٢٢ ، سفر أعمال الرسل ١٧: ١٠ - ١٢

^٤ سفر إشعياء ٥٣: ٩ ، رسالة يعقوب ١: ١٧ ، إنجيل يوحنا ٧: ٤٦

أَمَا صَوْتُ الشَّيْطَانِ فَيَأْتِينَا بِلَا تَوَقُّفٍ لِيُخَدِّعَ بِأَكَاذِيْبِهِ وَبِأَقْوَالِهِ الْمَسْمُومَةِ. مُسْتَعْدِمًا كُلَّ إِمْكَانِيَّاتِهِ وَقَوَاتِيهِ الشَّرِيْرَةِ "وَلَوْ أَمَكْنَهُ فَلَا يَتَوَرَّعُ أَنْ يُضِلَّ الْمُخْتَارِيْنَ وَلَا يَسْتَحْيَ أَنْ يَظْهَرَ كَمَلَاكٍ نُوْرٍ مُسْتَعْدِمًا الْكَلِمَةَ الْمَكْتُوبَةَ غَاشًا فِيْهَا".^١

ثَالِثًا: الْإِذَانُ الْمُدْرِبَةُ قَادِرَةٌ عَلَى تَمْيِيزِ صَوْتِ اللَّهِ.. إِنَّ التَّصَافُقَ بِالرَّبِّ وَبِمُؤَاطَبَتِنَا عَلَى الصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْكَلِمَةِ وَمُشَارَكَةِ الْقَدِيْسِيْنَ فِي دِرَاسَتِهَا. تَصْبِحُ الْإِذَانُ مُدْرِبَةً وَالْحَوَاسُّ الرُّوْحِيَّةَ فِينَا مُسْتَجِيْبَةً لَصَوْتِ اللَّهِ. مُنْذَوِّقَةً لِحَلَاوَةِ كَلَامِهِ الَّذِي قَالَ عَنْهُ الْمُرْتَمُّ: "أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ وَقَطْرَ الشَّهَادِ". وَالْإِذَانُ الْمُدْرِبَةُ لَا تَخْدَعُ. بَلْ هِيَ تَمِيْلُ دَائِمًا إِلَى أَقْوَالِ الرَّبِّ. وَلَقَدْ تَغْنَى دَاوُدُ النَّبِيَّ بِأَقْوَالِ الرَّبِّ وَكَلَامِهِ قَائِلًا: "سِرَاجٌ لِرَجْلِي كَلَامُكَ وَنُوْرٌ لِسَبِيْلِي".^٢

حَدَّثَ يَوْمًا أَنْ شَبَّ حَرِيْقٌ فِي أَحَدِ الْمَنَازِلِ. فَاسْرَعَ رَجَالُ الْإِنْقَازِ وَانْتَشَلُوا رَجُلًا وَزَوْجَتَهُ مَعَ صَبِيٍّ وَفَتَاةٍ. أَخْرَجُوا الْأَرْبَعَةَ وَكَانُوا فِي حَالَةٍ إِعْيَاءٍ شَدِيْدٍ مِنَ الدَّخَانِ الْمُكَاتِفِ الَّذِي تَصَاعَدَ مِنْ نِيرَانٍ اشْتَعَلَتْ بِإِدْبَةِ مِنَ الطَّبَاقِ الْأَسْفَلِ مُتَّخِذَةً طَرِيْقَهَا إِلَى الْأَعْلَى. فَوَجَّئُ أَحَدُ رَجَالِ الْإِنْقَازِ بِطِفْلَةٍ تَطَلَّ مِنْ نَافِذَةِ الطَّبَاقِ الْأَعْلَى تَسْتَعِيْثُ. فَاسْرَعَ رَجَالُ الْإِنْقَازِ بِمَلَاءَةٍ كَبِيْرَةٍ بَسْطُوْهَا مِنْ أَسْفَلٍ. وَصَاحُوا بِالطِفْلَةِ أَنْ تَلْقَى بِنَفْسِهَا فَلَمْ تَسْتَجِبْ لَهُمْ. فَبَادَرَ أَحَدُهُمْ إِلَى الْوَدْيَاءِ وَأَنْبَأَهُ بِاسْتِغَاثَةِ طِفْلَةٍ تَطَلَّ مِنْ نَافِذَةِ الطَّبَاقِ الْأَعْلَى فَاسْتَجَمَعَ الْأَبُ قَوَاهُ وَوَقَّفَ أَسْفَلَ النَّافِذَةِ. وَبِأَعْلَى صَوْتِهِ صَاحَ مُنَادِيًا ابْنَتَهُ كَيْ تَلْقَى بِنَفْسِهَا. وَفِي الْحَالِ حِيْنَ سَمِعَتْ الطِفْلَةَ صَوْتَ أَبِيْهَا أَلْقَتْ بِنَفْسِهَا! لَمْ تَأْمَنْ الطِفْلَةَ لَصَوْتِ الْغُرَبَاءِ. وَلَكِنَّهَا أَمِنَتْ لَصَوْتِ أَبِيْهَا لِأَنَّ أَدْنَهَا مُدْرِبَةٌ عَلَى سَمَاعِهِ فَالْقَتْ بِنَفْسِهَا مُسْتَجِيْبَةً لَهُ.^٣

لَيْتَنَّا نَحْتَرِسُ وَلَا نَخْدَعُ بِصَوْتِ مَنْ يَسْتَمِيْلُنَا غَاشًا مُخَادِعًا. وَتَصْمُ آدَانُنَا فَلَا نَلْبِيْ نِدَاءَاتِهِ. قَالَ الرَّبُّ يَسُوْعُ: "الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُوْلُ لَكُمْ إِنْ مَنْ يَسْمَعُ كَلَامِي وَيُؤْمِنُ بِالَّذِي أَرْسَلْتَنِيْ فِيهِ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ وَلَا يَأْتِيْ إِلَى دِيْنُوْنَةٍ. بَلْ قَدْ انْتَقَلَ مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ". لَيْتَنَّا نَصْنَعِيْ إِلَى كَلَامِ الرَّبِّ الَّذِي جَاءَ لِيَنْقِذَنَا مِنَ الْهَلَاكِ الْأَبَدِي. لَيْتَنَّا نَمِيْلُ بِآدَانِنَا إِلَى أَقْوَالِهِ وَنَلْقَى بِأَنْفُسِنَا الثَّمِيْنَةَ بَيْنَ أَحْصَانٍ مِنْ أَحَبِّنَا وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لِأَجْلِنَا وَأَعْطَانَا ضَمَانًا لِحَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ فِي النَّعِيْمِ الْأَبَدِي.^٤

رَابِعًا: يَقُوْلُ الْحَكِيْمُ: احْفَظْهَا فِي وَسْطِ قَلْبِكَ.. إِنَّ الْأَذْنَ تَسْمَعُ وَتَصْنَعُ وَتَمِيْزُ. وَلَكِنَّهَا لَا تَحْتَرِنُ شَيْئًا. فَالْقَلْبُ هُوَ الْمَكَانُ الَّذِي بِدَاخِلِهِ نَسْتَطِيْعُ أَنْ نَحْتَرِنَ الْجَوَاهِرَ الثَّمِيْنَةَ الَّتِي تَسْتَقْبَلُهَا آدَانُنَا. وَالْقَلْبُ أَيْضًا هُوَ الْمَكَانُ الَّذِي فِيهِ يُمَكِّنُ اخْتِرَانُ السَّمُوْمِ الْقَاتِلَةِ الْمُدْمِرَةَ لِذَلِكَ "فَوْقَ كُلِّ تَحْفَظِ احْفَظْ قَلْبِكَ لِأَنَّ مِنْهُ مَخَارِجُ الْحَيَاةِ". قَالَ الرَّبُّ يَسُوْعُ: "الْإِنْسَانُ الصَّالِحُ مِنَ الْكَثْرِ الصَّالِحِ فِي الْقَلْبِ يُخْرِجُ الصَّالِحَاتِ. وَالْإِنْسَانُ الشَّرِيْرُ مِنَ الْكَثْرِ الشَّرِيْرِ يُخْرِجُ الشَّرُوْرَ". قَالَ الرَّبُّ لَشَعْبِهِ فِي الْقَدِيْمِ عَنْ وَصَايَاهُ: "وَلَتَكُنْ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ الَّتِي أَنَا أُوصِيْكَ بِهَا الْيَوْمَ عَلَى قَلْبِكَ".^٥

كَثِيْرًا مَا يَتَحَوَّلُ الْاسْتِمَاعُ إِلَى عَادَةٍ يَعْتَادُهَا الْإِنْسَانُ إِنْ لَمْ يُخْبِيْ مَا يَسْمَعُهُ دَاخِلَ قَلْبِهِ. وَيَرَى النَّاسُ فِيهِ صُوْرَةَ التَّقْوَى وَلَكِنْ لَا يَلْمَسُوْنَ قُوَّتَهَا فِي سَلُوْكِهِ. وَتَبَعًا لِذَلِكَ لَا يَحْصُلُ عَلَى نَتَائِجٍ إِيْجَابِيَّةٍ فِي حَيَاتِهِ الرُّوْحِيَّةِ. إِنْ رُوْحُ اللَّهِ يَدِيْنُ فِي الْإِنْسَانِ لِيَتَوَبَّ وَيَرْجِعَ إِلَيْهِ. وَلَكِنْ إِحْسَاسُ الْإِدْبَةِ يَنْطَفِئُ بِدَاخِلِهِ حَتَّى يَنْعَدِمَ بِنُوَالِي الْمَرَاتِ الَّتِي فِيهَا يَسْمَعُ صَوْتُ الرُّوْحِ الْقُدُسِ الْمُوجَّهَ إِلَى ضَمِيْرِهِ دُونَ اسْتِجَابَةٍ حَقِيْقِيَّةٍ صَادِقَةٍ مِنَ الْقَلْبِ. قَالَ دَاوُدُ النَّبِيَّ فِي مَزْمُوْرِهِ: "خَبَاتٌ كَلَامِكَ فِي قَلْبِي لَكَيْلًا أَخْطِئَ إِلَيْكَ". نَخْطِئُ إِنْ لَمْ نَحْرُصْ عَلَى حِفْظِ الْجَوَاهِرِ فِي دَاخِلِ قَلْبِنَا.^٦

عَزِيْزِي الْقَارِئُ.. لَيْتَكَ تَشْتَرِكُ مَعِي فِي تِلْكَ الصَّلَاةِ: أَبَانَا السَّمَاوِيَّ.. أَشْكُرُكَ إِلَهِي لِكَلَامِكَ الَّذِي اسْتَعْدَيْتَنِي سَمَاعِي إِيَّاهُ. فَقَدْ لَمَسَ أَعْمَاقَ قَلْبِي. أَتَى إِلَيْكَ دُونَ تَوَانِي لِأَعْلِنَ أَمَامَ جَلَالِكَ رَغْبَتِي فِي بَدْءِ عَهْدٍ جَدِيْدٍ. لِأَخْبِيْ كَمَا أُوصِيْتِنِي أَقْوَالِكَ فِي وَسْطِ قَلْبِي لَكَيْلًا أَخْطِئَ إِلَيْكَ. وَأَحْيَا بِكَلَامِكَ لِأَسْتَمِيْعَ عَلَى الدَّوَامِ بِسَلَامِكَ الْعَجِيْبِ. أَمْلَأْنِي رَبِّي بِرُوْحِكَ الْقُدُسِ. وَهَبْنِي قُوَّةً لِأَتَمِّمْ مَسِيْنَتَكَ فِي حَيَاتِي. وَأَشْكُرُكَ لِأَنَّكَ اسْتَجَبْتَ لِعَبْدِكَ. لِأَنِّي أَرْفَعُ صَلَاتِي فِي اسْمِ يَسُوْعِ الْبَارِ. وَإِتْقًا فِي صِدْقِ وَعَدِكَ يَا مَنْ قَلْتُ: مَنْ يَقْبَلُ إِلَيَّ لَا أَخْرِجُهُ خَارِجًا.

أَخِي الْقَارِئُ الْعَزِيْزُ.. إِنْ أَرَدْتَ سَمَاعَ تِلْكَ الرَّسَالَةِ أَوْ غَيْرَهَا سَتَجِدُ ذَلِكَ فِي:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

^١ سفر المزمير ١٩: ١، إنجيل متى ٢٤: ٢٤، رسالة بولس الرسول الثانية إلى مؤمنى كورنثوس ١١: ١٤، وتيموثاوس الثانية ٢: ١٥

^٢ سفر المزمير ١٩: ١٠ & ١١٩: ١٠٥، الرسالة إلى العبرانيين ٥: ١٤، سفر التكوين ٣: ١٠

^٣ إنجيل يوحنا ١٠: ٢٧ - ٢٩

^٤ إنجيل يوحنا ٥: ٢٤، إنجيل يوحنا ٣: ١٦ - ١٩

^٥ إنجيل متى ١٢: ٣٥، سفر التثنية ٦: ٦

^٦ سفر التكوين ٦: ٣، رسالة بولس الرسول الثانية إلى تيموثاوس ٣: ٥، سفر المزمير ١١٩: ١١